

ويلاحظ المؤلف «ان تاريخ الانتي سيمتزم مطابق لتاريخ الصهيونية أي لظهور الدعوة الاولى اليها والشروع باستعمار فلسطين». ويستنتج هذه المطابقة من حادثين : أولهما تأسيس أول مستعمرة يهودية «ريشون لتسيون» في فلسطين سنة ١٨٨١ من قبل يهود روسيا، وثانيهما ظهور كتاب بنسكر بعنوان "Auto - emancipation" (التحرر الذاتي) سنة ١٨٨٢، الذي يدعي «بأن الدواء الوحيد لمرض اليهودية الذي لا يمكن ان تشفى منه الانسانية... انما هو تأسيس مسكن خاص باليهود». ويضيف ان كتاب بنسكر اشتهر بين اليهود شهرة عظيمة، و«اقتربت الساعة التي ظهرت فيها المسألة الصهيونية من جديد».

أما ما حدث سنة ١٨٨١، فهو ان اغناتيف (Ignatiev)، ناظر الداخلية الروسي، وضع قانوناً «لاخراج اليهود من جميع المملكة الروسية واسكانهم في منطقة خاصة بهم من جهة الغرب». فكأن الروس «اعتبروا اليهودية مثل مرض الجذام - كما عبر بعض الكتاب لأن هذا التعبير ليس لنا [الاستدراك للمؤلف] - فأرادوا المحافظة على روسيا المقدسة منه فوضعوا اليهود في الولايات الغربية كما يوضع المصابون بالأمراض السارية في الحجر الصحي».

ولقد كان في وسع اليهود «ان يقنعوا بهذه البلاد الواسعة (أي الولايات التي حصروا فيها) لولم يضيق عليهم بقوانين... حرمتهم من المساواة ببقية افراد الامة». ثم ان قانون اجلائهم أهاج الشعب الروسي، «فحنق على اليهود وأذاهم وشتمهم وحقرهم ثم هجم الناس على اليهود ونهبوا أموالهم وجرحوا وقتلوا منهم الكثيرين».

ولا يفوت المؤلف ان يلاحظ ان «اغناتيف لم يؤدب هؤلاء الرعاك كما تقتضيه العدالة ولم يردع المتهورين».

ويعدد المؤلف، بعد ذلك، سلسلة القوانين القيصرية الجائرة التي صدرت ضد اليهود، مع شروط مستفيضة لها: فقد منعوا من استخدام خادم أو أجير من النصارى دون رخصة لذلك، ومنعوا من الاستخدام في الدوائر الرسمية والادارات غير الرسمية، وحددت نسبة التلامذة اليهود في المدارس العالية ما بين ٢ بالمئة و ١٠ بالمئة، وفرضت عليهم ضرائب خاصة: فمن ضريبة على لبس قبة الفرو الخاصة بهم، إلى ضريبة على ايقاد الشموع ليالي السبت، إلى ضريبة على الذبائح التي تذبح على قواعد شريعتهم. ومنعوا من التجارة أيام الأحاد؛ «فاجبروا بذلك على تعطيل أعمالهم يومين في الاسبوع»، وأبيح تعميدهم أطفالهم على الرغم من والديهم ومنعوا من معاطاة الصيدلة أو التمثيل المسرحي إلى غير ما هنالك من القيود، فأصبحت حالة اليهود في روسيا «تشبه الحالة التي كان عليها الهكنوت [Huguenot] وهم البروتستانت الفرنساويون بعد ما فسخ فرمان نانت [Edict of Nantes]».

أما الاسباب التي حملت الروس على وضع هذه القوانين فاربعة: الاول، «عداوتهم في الدين وتعصبهم المسيحي»؛ ثانياً، «عداوتهم في المال لأناس يقنعون بالكسب القليل... فاذا فتح اليهودي دكاناً بجانب مسيحي لا يلبث المسيحي ان تكسد بضاعته... لعدم مقدرته على مجارة اليهودي في ميدان التجارة سيما وان اليهودي لا يشتغل بالصناعات الشاقة ولا بالزراعة... وانما ينال اليهود الثروة الحاضرة المهياة ويكون بنو الغريب حراثه وكرامه كما تقدم ذكره في سفر اشعياها؛ ثالثاً، «عداوتهم في العنصر والعرق لأن العنصر اليهودي... كثير النسل والاولاد»، ففي احصاء سنة ١٨٧٠، مثلاً، وجد عدد المسيحيين في بولندا في الخمسين سنة السابقة قد زاد ثمانين في المئة، بينما بلغت زيادة عدد اليهود، في المدة نفسها، مئتين وخمسين في المئة. على ان المؤلف يضيف مستدركاً: «ان هذا